سلسلة | إلجام لئام الإعلام
الحلقة الأولى

وفاءً وذبًّا عن سيف الله المسلول أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه

من إفك سفيه "قناة الحرة" إبراهيم عيسى

بقلم: الشيخ أوَّاب الحسني



مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين تزندقوا من أهل الإعلام الملحد بأول من يغمز ويطعن برموز أمتنا الإسلامية ورجالها الأبرار، ولم يَكُ أفَّاكوا الإلحاد المعاصر بأول من تجري ألسنتهم بلمز وثلب أئمة هذا الدين وفي مقدمتهم سادتنا الكرام الذين اختارهم الله عز وجل واصطفاهم لصحبة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، لا سيما أولئك الفاتحين الذين ما كبَّر مسلم في أقاصي الأرض وتشهَّدَ، ولا صلى مؤمن لله في الفيافي والجزر وتعبَّدَ؛ إلا كان لهم النصيب الأوفى من أجورهم وأجور أجدادهم، وأجور من جاؤوا من بعدهم ممن سيناله خير الإسلام ونعمة الهداية للإيمان، فهم من جرُّوا أممًا من بعدهم إلى نعيم الجنة بالسلاسل، وأدخلوا حلاوة الإيمان إلى الأفئدة عنوة ورغبة، بفضل تحبيسهم لأنفسهم في سبيل الله، وبذلهم أرواحهم ودمائهم رخيصة لأجل نشر نور الله في العالم، وإن من أولئكم الذين لهم دَين كبير في إيصال النور والسلام والإسلام لأمم الأرض، وتوطئة سبيل الوصول للجنة على البشرية؛ فارس الإسلام، وسهم الإيمان، الصحابي المجاهد الفاتح، المبدد لظلمات الكفر والشرك والردة، سيف الله المسلول على أعداء الله، الذي لم يُغمد ولن تُغمد آثاره حتى عصرنا الحاضر وإلى قيام الساعة، فاتح أرض العراق وبلاد الشام: أبو سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه، صاحب فأس التوحيد الذي حطم الأنداد والآلهة والأرباب والطواغيت، وكاسر أنف الطواغيت، اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، مبيد المرتدين ومجندل المشركين، المحارب الذي لم يعدل به النبي صلى الله عليه وسلم أحدا في حربه، وصاحب الدَّيْن والمنن التي لا سبيل لسدادها على ملياري مسلم -ممن ينعمون بالإسلام بفضل فتوحاته وجهوده وجهاده- إلا بالدعاء له والذب عنه والدفاع عن عرضه الكريم، وتسفيه شانئيه، ورد خصومه من أهل الزندقة والهرطقة والإلحاد المستشري في الإعلام العربي المعاصر، وإن من زنادقة هذا الإعلام المحارب لله ورسوله وصحابته الكرام؛ الأفاك الأثيم إبراهيم عيسى -لا أقال الله له عثرة-

الذي تهكم في قناة (الحرة) في برنامجه (مختلف عليه)، وحلقته التي أسماها بـ: (خالد بن الوليد.. قائد أم سفاح؟)، فقلل من جهود من أجمعت الأمة على محبته وإعجابهم به على مدى التاريخ الإنساني والإسلامي، وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث قال عنه: "أما خالد؛ فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله"، وقال فيه أيضًا: "نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ".

إنه أبو سليمان؛ الصحابي الجليل الذي سبق حُبًا واشتياقًا إلى شعر ناصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بعد حلقه، فأغمد تلك الشعرات المباركات في مقدمة قلنسوته مستنصرًا ومتبركًا بها، فلم يزل منصورا كما قال -رضي الله عنه-: **(جَعَلْتُهَا فِي مقَدِّمَةِ الْقَلَنْسُوَةِ، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رُزقتُ النصر، ومَا وُجِّهْتُ فِي وَجْهٍ إِلَّا فُتِحَ لِي)**.

وإن من معالم الردة الباردة في العصر الحاضر؛ ما يبثه الإعلام الماجن من التشكيك في ثوابت الإسلام، والسعي المكثف في نشر الإلحاد والإباحية والزندقة، وإشاعة الفحشاء في العالم بأسره لجعله كقرية واحدة ولكنها كقرية لوط عليه السلام، وهذه الردة الجامحة المستشرية بزماننا أحوج ما تكون اليوم إلى حرارة سيف جهادي مسلول كسيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه، فلهذا عمد الشانئون الأفاكون إلى توجيه سهامهم لهذا البطل المجاهد، ظنا منهم أنهم قادرون على إخراجه من قبره وثراه الطاهر لمحاكمته ونزع امتيازاته وألقابه وأوسمته العسكرية التي تلقاها من الوحي الذي يوحى إليه من السماء، وإن هذه الجهود الإعلامية البائرة الحسيرة بسحب الثقة والتقدير والاحترام عن خالد، وتلكم المحاولات اليائسات البائسات بحجب رمزيته وشجاعته وشهامته وفتوته عن الأمة الإسلامية، جهود ممحوقة متبَّرة لا بقاء لها، وقلمَّا يقع لأصحابها مرادهم منها، وصدق الله إذ يقول: **(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9))**

افتتح صانع الإفك الأثيم، الإعلامي إبراهيم، حلقة برنامجه بالتشكيك في مصداقية إسلام سيدنا خالد بن الوليد-رضي الله عنه-، والطعن في إخلاصه وصحبته للرسول صلى الله عليه وسلم، حتى آل به الأمر وبضيوفه إلى تكفير خالد، ونزع شرف الإسلام والصحبة عنه تصريحا لا تلميحا، مصرحين أن خالدًا ليس له أدنى اعتبار ديني في التأريخ الإسلامي، وأن خالدا تظاهر بالإسلام دهاء ومكرا، وتأخر إظهاره المزيف لإسلامه سياسة إلى أن رأى كفة الموازين تميل لصالح رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ولصالح الإسلام، من أجل الحفاظ على امتيازاته السياسية والعسكرية السابقة في عصر الجاهلية.

كما ادعوا أن خالدا ليس إلا قائدا عسكريا متهما بجرائم حرب وانحرافات جسيمة وخيانات كبيرة، فالأمر -كما يومئون- بحاجة إلى محاكمته غيابيا في محكمة (لاهي) على جرائمه التي اقترفها في حروبه، والتي ترقى لجرائم حرب وانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان -بحد زعمهم الآثم-.

وإن تعجب فعجب أن يدعي صاحب البرنامج بعد ذلك كله براءة برنامجه، وأن مقصوده من محاكمة سيف الله المسلول وإثارة سيرته: خدمة الإنسانية والعقل الإسلامي، وأنه لا يهدف للمشاركة في المؤامرة على الإسلام، واغتيال رموزه، لأن الدين -كما يزعم- ليس محصورا في شخصية خالد، والإسلام أرحم من أفعال خالد، قائلاً: (هم رجال ونحن أيضا رجال)!!

وإن من العلم المشهور بين المسلمين أنَّ سيدنا خالد بن الوليد-رضي الله عنه- إمام جليل من أئمة الجهاد وطُلَّاب الشهادة، شهد فتح مكة وحنينا ومؤتة ودومة الجندل واليرموك وغيرها، وكان -رضي الله عنه- من المشهورين بالشجاعة والشرف والرئاسة، وقد نال بجدارة وسام (سيف الله) لنجاحه الباهر في صيانة المجاهدين بمؤتة، وكان ذلك بعد أشهر قليلة من إسلامه، كما كان -رضي الله عنه- مشغول الفكر والبال دوما بالجهاد والفتوحات حتى كادته الجن وعانى الأرق الشديد بسبب ذلك، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم

تعويذات نافعة يتعوذ بها، وهو القائل حين وفاته: (**مَا لَيْلَةٌ تُهْدَى إِلَى بَيْتِي فِيهَا عَرُوسٌ أَنَا لَهَا مُحِبٌّ، أَوْ أُبَشَّرُ فِيهَا بِغُلَامٍ بِأَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْجَلِيدِ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُصَبِّحُ بِهَا الْعَدُوَّ**)، وقال أيضا: (**لقد اندقَّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما ثبتت في يدي إلاّ صفيحة يمانية**)، وكان هو المقدَّم على خيول قريش في الجاهلية، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوليه أعنّة الخيل منذ أن أسلم فيكون في مقدمتها، وكان مع ذلك من جُملة كُتَّاب النبي صلى الله عليه وسلم، وممن عظم قدره بنزول بعض الآيات القرآنية فيه، وأُثِرَ عنه كرامات جهادية تنم عن ثقة بالله واعتزاز ويقين، ومن مفاخره أن قال عنه الصديق أبو بكر رضي الله عنه: (**والله لا أشِيمُ سيفاً سلَّه الله على عدوه**)، وقال مباهيا به عند سماعه بانتصاراته الإسلامية وفتوحاته الخالدية بالشام والعراق، فصاح مبلّغا الناس أنباء الظفر المؤزر لتنتشر في الجزيرة العربية قائلا: (**يا معشر الناس؛ عدا أسدكم إلى الأسد، فغلبه في خراذيله، أعقمت النساء أن يلدن مثل خالد؟!**).

وقد حضرته الوفاة طريحا على فراشه وهو مرابط في سبيل الله بثغر حمص سنة إحدى وعشرين، فقال: (**ما لي من عمل أرجى من لا إله إلاّ الله، وأنا مُتترس بها**)، فلما مات قال عنه مغسِّلُهُ بعدما نظر إلى ما تحتَ ثيابه: (**والله ما فيه مُصحّ .. ما بينَ ضربةٍ بسيف، أو طعنةٍ برُمح، أو رميةٍ بسهم**).

لقد كان إيمان خالد بالإسلام صلباً وقوياً جداً كصلابة شخصيته وحزمه وعزمه، فجرأته في تحطيم أصنام اللات والعزى، وتجرعه السم وحصول الكرامات له، لا يكون إلا عن تقوى ويقين وثقة وإيمان صلب بالله تعالى، وكان -رضي الله عنه- مقربا من النبي وممن يدخل على النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيته، وكان يأكل معه على سفرته، فخالته هي أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها-، **ومع أن مدة قيادته للأجناد والجهاد لم تزد على أربع سنين، إلا أنه انتصر في كل معاركه، وقتل من الكفار أكثر مما قتل غيره من الصحابة، وكان من أعظم الناس**

غناء في مصاولة العدو، وأسعدهم بالمعارك والفتوحات المحمدية، فمن العداوة لدين الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم- أن يصف صاحب البرنامج وضيوفه فتوحات الإسلام المحمدية بالإحتلال والوحشية.

لقد كان من صدق خالد وحماسته للإسلام أنه إذا أيقن وتأكد من صدور كلمة الكفر، ممن الأصل فيه الكفر، بادر عجلا إلى حسمها ووأدها وتمزيق أهلها، بعد حوار وجدال قصير، دون مزيد روية واستبيان، فلم يكن -رضي الله عنه- يطيق الصبر على سماع كلمة الكفر، ولا على أهلها إذا صدعوا بها، ولهذا بادر بقتل رجال من بني جذيمة حينما نطقوا بكلمة الكفر (صبأنا صبأنا) دون أن يتضح له أن مقصودهم الدخول في الإسلام لكنهم لم يحسنوا الإفصاح بذلك، فتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من عجلته، وأنكر عليه رهق سيفه وشدته، كما تبرأ أيضا من الطرف الآخر حينما قال: " أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا"، تحقيقا لقوله تعالى: **(فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216))** غير أنه لم يعزله ولم يغمده، بل أقره على إمارته، وأسند إليه مهمات عديدة بعدها، فما لسيف الله المسلول أن يُشام ويُغمد، وما لسيف الله أن يُهان ويُثلم، والعجب من خالد بن الوليد -رضي الله عنه- كيف أنه على فراش الموت يستذكر الشهادة ويتمنى القتل في سبيل الله، وينكر على نفسه الموت على الفراش، متناسيا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أسماه بسيف من سيوف الله، فلا يليق بسيوف الله أن تُثلم بالمعارك؟!!

والمقصود أن سيدنا خالد -رضي الله عنه-لم يكن منحرفا ولا مجرما ولا إرهابيا ولا متوحشا دمويا عاشقا لسفك الدماء -كما يقول أفاكوا "مختلف عليه"- ولم يتعمَّد سيدنا الجليل خالد مخالفة أمر النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ولكنه أخطأ كما أخطأ غيره من الصحابة، كما أنه لم يقتل من هو مسلم معصوم الدم عنده، ولكنه خفي عليه مراد الله عز وجل بقوله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ**

مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94)).

ولهذا كان خالد يعتذر عن خفاء مراد الله عنه بقوله: (**لقد منعني كثيرًا من القرآن الجهاد في سبيل الله تعالى**)، كما أن خالدا ما زال يؤمره النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقدمه بعد ذلك، لأن الأمير إذا جرى منه خطأ أو ذنبٌ أُمِرَ بالرجوع عن ذلك، وأُقِرَّ على ولايته، ولم يكن خالد معانداً للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، بل كان مطيعاً له، لكن خفي عليه حكم الله في هذه المسألة، فإن السيف -كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- خاصته القتال، وسيف الله خالد كان القتال فضيلته التي تميز بها عن غيره من الصحابة، ولم يتقدم عليهم بسابقة صحبة ولا كثرة علم ولا عظيم زهد، وإنما تقدم بالجهاد والقتال وحبه للإسلام ونصرة الدين ونشر نور الله في الأرض؛ فلهذا عبَّر النبي -عليه الصلاة والسلام- عن خالد بأنه سيف من سيوف الله، فمن السفه بعد ذلك أن يتفوه الأفاك الأثيم بأن خالدا ليس بعالم من علماء الفقه والتفسير، ويرتب على ذلك بأنه مجرد شخصية عسكرية جاهلة وليست لها أي ارتباط بالإسلام.

ثم مضى حديث الأفاكين في حلقتهم الآثمة إلى حروب الردة ولم يكلفوا أنفسهم كثيرا إخفاء حنقهم وحقدهم وبغضهم على السيد المبجل والصحابي الكريم خالد بن الوليد الذي كان له كبير الأثر في إطفاء نار أجدادهم المرتدين بجزيرة العرب، مما جعل مقدم البرنامج يصرح بأن أهل الردة "المظلومين" الذين سحق منهم الآلاف خالد بن الوليد لا سيما في حديقة الموت، ما هم إلا تهديد مزعوم، ومجرد معارضة سياسية إسلامية تعارض خليفة رسول الله أبي بكر الصديق في منصب الرئاسة، جريا على المبادئ الديموقراطية واستصحابا لها، مع أن ثبوت الردة عن مانعي الزكاة مما أجمع عليه السلف الأول، فكيف يصح وصم الأفاكين بأنهم إسلاميون.

ثم ازدلفوا لفرية قتله للصحابة المسلمين، وتهمة اغتصابه لزوجاتهم، وهي من أقبح ما اتهم بها خالد -رضي الله عنه- لا سيما في قضية تسريه وزواجه بأرملة مالك بن النويرة، مع أن معد البرنامج لم يذكر من الروايات الضعيفة إلا ما يخدم قصده المأفون، ولم يذكر منزلة الرواية التي اعتمدها عند المسلمين من جهة الصحة والقبول أو الضعف والرد، وهنا أزجي اليراع والقلم لنقل أفضل ما قيل في رد هذه الفرية -مع تصرف يسير في الاختصار- مما خطته أنامل الإمام المحدث أحمد شاكر -رحمه الله- في (مجلة المقتطف) ردا وانتقادا على أحد أشهر كُتَّابِ عصره ممن زلت قدمه في هذا الباب من العلم بالسير والفقه، ومقاله هذا مدرج ضمن جمهرة مقالاته (1-238)، قال -رحمه الله-: (قد كان عمر يظن أن منع الزكاة ليس ردةً، وأن إظهار الإِسلام وإقام الصلاة كافيان في حقن الدماء، فأقام أبو بكر عليه الحجة، حتى اطمأنّ إلى أن أداء الزكاة كإِقام الصلاة شرط في صحة الإِسلام، فقال عمر: "فوالله ما هو إلَّا أن قد شرح الله صدر أبي بكر فعرفتُ أنهُ الحق"...فلو أن أبا قتادة ومن معه، الذين خالفوا على خالد، قبل مسيره إلى البُطاح وبعده، وبعد أخذ مالك بن نويرة، شهدوا أن مالكًا وقومه "أقرُّوا بالزكاة وإيتائها" لم يكن خالد ليأمر بقتل رئيسهم مالك إن شاء الله، فإنما كان مسيره ليرجعهم إلى الإِسلام وليأخذ منهم الزكاة، فماذا بعد أن يعطوا ما سار إليهم من أجله؟ لا شيء إلَّا العدوان وسفك الدم الحرام، ونعيذ بالله خالدًا ومن معه من ذلك...

وأكثر الروايات وأرجحها تدل على أن خالدًا كان موقنًا من ردة مالك، وإِصراره على منع الزكاة، ولم توجد رواية قط تثبت إثباتًا قاطعًا أن مالكًا رجع عن ردته، وأعطى مقاده مخلصًا للدَّين، وإنما أعطى مقاده مغلوبًا على أمره، وكان يرجو أن يضع يده في يد أبي بكر لعله يجد عنده عطفًا أو لينًا، فلم يمكنه خالد من ذلك، وأخذه بالعزم وقتله.

فلم يك خالد متجنيًا ولا عاديًا، وإنما كان حازمًا سريع الفصل، يعرف ما يأتي وما يدع، ويرى الإِسلام في خطر من دعاة الردة، ويرى الموقف على حقيقته بنظرة رجل الحرب، ويعرف عواقب التردد أو

التهاون، ويعرف خصمه مالكًا، ويعرف قوته وأثره في قومه، والشاهدُ يرى مالا يرى الغائب، فلن يؤخذ على خالد - إن كان عليه فيما أتى مأخذ، إلَّا أنه تسرَّع، أو تأول فأخطأ، ولا حرج.

وأما ما يرجف به المرجفون، من أنه إنما صنع هذا بمالك رغبةً في امرأته ليلى بنت سنان، وأنه كان بينهما هوًى في الجاهلية، فما نظنه إلَّا من نسج الخيال، ومن أقوال الأعداء المغرضين، فالثابت أن خالدًا أخذ ليلى سبيًا بعد مقتل زوجها، وأنه بنى عليها بعد انقضاء طهرها ... والظاهر من سياق الروايات في الوقعة وما دار حولها، أن خالدًا سبى نساء القوم، أي أخذهنَّ رقيقًا غنيمة، كحكم الإِسلام في حرب الكفار والمشركين، واصطفى لنفسه من السبي امرأة مالك، والإِسلام يجيز ذلك، وأنهُ استبرأها بحيضة واحدة، ثم دخل بها، وهذا عمل مشروع جائز، لا مغمز فيه ولا مطعن، وأن أعداءه والمخالفين عليه رأوا في هذا العمل فرصتهم، فانتهزوا، وذهبوا يزعمون أن مالك بن نويرة مسلم، وأن خالد قتله من أجل امرأته، وذهبوا ينسجون حول هذا الأكاذيب ... هذه أحكام بديهية في الشريعة، لا يعذر أحد بجهلها، فلا أدري كيف خفيت على المؤلف العلامة الكبير، حتى جزم في غير تردد ولا احتياط بأن خالدًا تزوَّج امرأة مالك، وأنه "نزا عليها قبل انقضاء عدتها"!!

وهكذا كان شأنه هنا، اتّجه به تحقيقه عن غير قصدٍ إلى أنَّ عملَ خالد جريمة، فصورَّها أقوى تصوير، وخفي عليه الفرقُ بين الزواج والسبي، وخفي عليه الفرق بين العدَّة والاستبراء، وخفي عليه حكم الإسلام فيمن تزوج امرأةً في عدَّتها، أو قارب ثيبًا من الرقيق قبل أن يستبرئها، وخفي عليه بعد ذلك كثير من مقاصد الإسلام وأحكامه، ومن خُلُق المسلمين الأولين وسيرهم، فذهب يجزم بأن خالدًا "عدا على امرئ مسلم، ونزا على امرأته قبل انقضاء عدتها" ينسب ذلك إلى عمر، لا يشك فيه ويجزم بأن الذي كان من خالد زواج، ثم دخول قبل انقضاء العدة، ثم يصوّر أثر ذلك في قيادة الجيش وفي مكانة المسلمين بين العرب، ثم يرى رأي عمر أن الحدّ على خالد واجب، فلما أن أراد أن يدافع عن خالد، ويبرّر فعل أبي بكر في التجاوز عنه، تخاذل ثم تخاذل حتى جثا على ركبتيه فلم

يصنع شيئًا، إلَّا أن أتى بما لا يقره شرع ولا عدل، لا في دين الإسلام ولا في سائر الأديان، فقد أتى بما لم يأت به الأوائل!!.

أبو بكر يقول لعمر: "هبهُ يا عمر تأوَّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد"، وهذا هو الحق، وتأول خالد واضح لمن فهم شرائع الإسلام وحقائقه، أيقن من ردة مالك بن نويرة، ولم يوقن من توبته إلَّا بما شهد له ناس أنهم سمعوا الأذان في ناحيته، وإلاَّ قوله لخالد في بعض الروايات أنهُ مسلم، ولم يشهد أحد لمالك أنهُ أقرَّ بالزكاة، ولم يقل هو ذلك أيضًا، بل قال لخالد: "إني آتي الصلاة دون الزكاة"، ثم تفلت منهُ بعض كلمات تنبئ عن إصراره، فلا يرى خالد مناصًا من قتله، فتكون نساؤه سبيًا بحكم الشريعة.

ثم بعد هذا كله تبقى ليلى وابنها في يد خالد ملك يمين، مدة خلافة أبي بكر، وبعض خلافة عمر، حتى يأتي متمم بن نويرة فيستعدي عمر على خالد، وقد صار الخليفة وولي الأمر، فلا يعديه عمر، ويأبى أن يغير حكم أبي بكر، ولكنهُ يرضيه بأن يردّ عليه امرأة أخيه وابنها، ولسنا نفهم هذا الردّ إلَّا بأن عمر طلب إلى خالد أن ينزل عنهما، وهما ملك يمينه، فيرضى ولا يأبى، استجابةً لرغبة عمر، لا طاعة لحكمه، فليس في سلطان أمير المؤمنين أن يأخذ أموال الناس كرهًا، ولم يكن ذلك من عملهم ولا من خلقهم، أفيظن ظانٌّ أن الصدر الأول من أصحاب رسول الله كانوا يقرُّون خالدًا على استبقاء ليلى امرأة مالك وهم يعلمون أنها تعاشره بعقد باطل حرام، كما يصور المؤلف زواجه إياها قبل تمام طهرها! اللهمَّ غفرًا...

أما قسوة عمر في اتهام خالد عند أبي بكر، فإنها قسوة الرجل العادل الحازم، لم يشهد الأمر بنفسه، ولم يكُ قاضيًا فيه، إنما بلغهُ أمر، فكان لسان الاتهام يقرّر ما سمع، ويعرضه على الخليفة ولي الأمر، والخليفةُ بما يملك من سلطة القضاء، سأل خالدًا عما نسب إليه، وسمع قول أبي قتادة وغيره، ثم حكم بما استبان له، فعذرَ خالدًا، ولم يجد في عمله موضعًا للقصاص، ولا موجبًا للحدّ، فكان حكمًا قاطعًا، لا يجوز لعمر ولا لغيره أن يستأنف النظر فيه، ولذلك

قال لمتمم في خلافته: "لا أرد شيئًا صنعهُ أبو بكر، فقال متمم: قد كنت تزعم أن لو كنت مكان أبي بكر أقدته به، فقال عمر: لو كنت ذلك اليوم بمكاني اليوم لفعلتُ، ولكني لا أرد شيئًا أمضاهُ أبو بكر"، وما نظن عمر يفعل ما كان يريد لو كان خليفة ذلك اليوم، إنما هو يبين عن رأيه في أمر قد نظر إليه من جانب واحد، هو جانب الاتهام، ولعله لو قد سمع الطرف الآخر - طرف الدفاع - ونظر إلى الأمر من الجانبين، كما نظر إليه أبو بكر، لانتهى إلى ما انتهى إليه حكم أبي بكر.

وفي مثل هذا تختلف أنظار القضاة، ويختلف اجتهاد المجتهدين، في وزن الأدلة، وتقدير البراهين، فلن تكون كلمة عمر وحدها حجة على خالد، تثبت عليه إجرامًا لم يثبت عند الحاكم، وقد برَّأه الحاكم مما نسب إليه، ولن تكون كلمة عمر وحدها حجة على أبي بكر، حتى يُتهم بالتهاون في شأن جرم يوجب الحدّ أو القصاص.

ومع هذا كله، فإن عمر رجع عن كل ما كان يظن بخالد وينسبه إليه، فقد روى ابن سعد في الطبقات الكبير (7/ 2/ 121) بإسناد من أصح الأسانيد التي يصححها المحدّثون في رواية السنَّة أنهُ: "لما مات خالد بن الوليد قال عمر: يرحم الله أبا سليمان، لقد كنا نظن به أمورًا ما كانت"، وليس بعد هذه الشهادة شهادة، من رجل كان من أشدّ الناس قسوة على خالد، وكان لسان الاتهام في هذه الوقعة بعينها، رضي الله عنهم جميعًا.) ا.هـ

ولم يقنع الأفاكون بما سبق من ثلبهم وغمزهم بسيف الله المسلول حتى جعلوه مؤسس مذهب الخوارج، وصانع أوباش داعش، ولم يقنعوا بذلك بل أومؤوا إلى اتهامه بما يجبُّهُ الإسلام من سوابق الكفر، متهمين إياه بأنه السبب في إصابة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهزيمة المسلمين بأحد، وأن سيف الله تسبب بقتل أسد الله وعم رسول الله حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-، وليس ذلك بأدنى من اتهمهم له بأنه تعمد قتل المسلمين من بني جذيمة وخثعم، ثم "افترس المظلومين" من أتباع كذاب اليمامة مسيلمة، فسفك دمائهم بوحشية في حروب الردة، وأنه بغى

واعتدى على البلدان المجاورة فاحتل فارس والعراق والشام، وكل ذلكم طعون خائرة بائرة لا تنطلي على من له مسكة من الفهم وأدنى تحقيق بعلم التأريخ والسياسة.

ثم ختم الأفاكون حلقتهم بأن خالدا ليس برمز للشجاعة والفتوحات الإسلامية، وإنما هو رمز للوحشية والدموية والإجرام، مشبهين أفعاله بالمرتدين في (حديقة الموت)، وبالنصارى في موقعة (ألِيس) "نهر الدم" حينما أجرى نهر النصارى بدمائهم، بأفعال أوباش داعش في المسلمين المجاهدين في سبيل الله، فأنى يؤفكون!!؟

كما ادعوا أن خالدا قد تمت الإطاحة به عن منصبه وتم عزله من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، حتى مات على فراشه حزينا كئيبا بسبب عزله وموت أولاده الأربعين بالطاعون، وجميع هذه الأخبار مصنوعة في مصانع الإفك وبيوت الزور (قناة الحرة)، فإن سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لم يعزله عن القتال بل عن قيادة المجاهدين فحسب، وقد أخبر الأمة بسبب العزل فقال: **(إني لم أعزل خالداً عن سُخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة)**، وقال أيضا: **(ما عتبت على خالد إلا في تقدمه وما كان يصنع في المال)**.

فالصحيح أن عمر بن الخطاب لم يعزل خالد بن الوليد -رضي الله عنه- عن شك أو ريبة أو انتقاصاً لمكانته، وإنّما حرصاً على عدم افتتان الرعية بخالد، وبسبب الاختلاف في وجهات النظر بينه وبين خالد وبالأخص فيما يخص توزيع أموال الغنائم، وهذا يجري على الناس في كل زمان وجهاد، ولم يكن هناك بين عمر وخالد رضي الله عنهما شيءٌ من ضغائن الجاهلية، وقد اعتذر خالد عن تصرفات عمر اتجاهه وولاه وصيته قبيل وفاته، ودافع عن سياسة أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- ووضح حقيقة الاختلاف في وجهات النظر بينهما حينما دخل أبو الدرداء عليه في مرض موته، فقال له

خالد: (**يا أبا الدرداء، لئن مات عمر، لترين أموراً تنكرها، فقال أبو الدرداء: وأنا والله أرى ذلك. فقال خالد: قد وجدت عليه في نفسي في أمور، لما تدبرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل، كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث من يقاسمني مالي، حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، ولكنه فعل ذلك بغيري من أهل السابقة، وممن شهد بدراً، وكان يغلظ علي، وكانت غلظته على غيري نحواً من غلظته علي، وكنت أدل عليه بقرابته، فرأيته لا يبالي قريباً ولا لوم لائم في غير الله، فذلك الذي ذهب عني ما كنت أجد عليه، وكان يكثر علي عنده، وما كان ذلك إلا على النظر: فقد كنت في حرب ومكابدة وكنت شاهداً وكان غائباً، فكنت أعطي على ذلك، فخالفه ذلك من أمري**).

وأمّا عمر فوصل فيه التكريم والثقة بخالد إلى التمني أن يكون خالد حياً عند وفاة عمر حتى يوليه خلافة النبوة، فقد عدّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنّ خالد بن الوليد -رضي الله عنه- أحد الصحابة المؤهلين لاستلام الخلافة بعده، فعن أبي العَجفاء السلمي، قال: (**قيل لعمر: لو عهدت يا أمير المؤمنين، قال: لو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته فقدمت على ربي لقلتُ: سمعت عبدك وخليلك يقول: "خالد سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين"**)، بل ثبت ندم عمر على عزله، قال نافع: (**لما مات خالد لم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلامه، فقال عمر: رحم الله أبا سليمان، كان على غير ما ظنناه به**).

ففي هذا القول من عمر غاية التكريم لخالد بعد وفاته، وفيه يبين عمر أنّ خالد بن الوليد أحد الصحابة المؤهلين لتولية خلافة النبوة، فعمر بن الخطاب لم يكن يستغني عن خبرة خالد العسكرية ولا السياسية.

وخلاصة الكلام؛ أنّ عزّل خالد عن القيادة العامة للجيش لم يكن إقصاءً لهذا المجاهد الفاتح عن ساحات القتال ولا تهميشا لرأيه في ساحات المعارك، ولم يكن معناه إقصاؤه عن الساحة الجهادية والقيادية والسياسية، وإنّما الحد من صلاحياته لاختلاف وجهات النظر بينهما، وكان عمر يوصي أبا عبيدة باستصحاب خالد إلى المهمات العسكرية الصعبة، وبقي خالد في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي عهد أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- سيف الله المسلول على رؤوس الكفار والمنافقين والمشركين، وكان اليد اليمنى لأبي عبيدة الجراح -رضي الله عنه- فقد عمل خالد تحت إمرة أبي عبيدة جنديا نحو أربع سنوات فلم يعرف عنه أنه اختلف عليه مرة واحدة، وكان في كلتي حالتيه سيف الله المسلول.

ثم ختم الأثيم إبراهيم برنامجه بخلاصة الحلقة كعادته قائلا: (كُنْ ابن سينا وابن الهيثم أو ابن خلدون إن شئت، ولكن لا تكن كخالد بن الوليد..)!

ويُلحظ بذلك أن مقصود الحلقة من أولها لآخرها لم يكن إسقاط خالد وتجريمه فحسب، ولا نزع التقدير والاحترام فقط عن رمز من رموز عزتنا التي تبعث في نفوسنا معاني العزة، وتحرك فينا كوامن الإئتساء والفخر، في وقت تحتاج الأمة فيه إلى سيوف الله المسلولة، لتضرب باسم الله نصرة لدين الله وأهل الله، بل كان المقصود أولا وآخرا اتهام خالد واتهام رسولنا الأمين -عليه الصلاة والسلام- الذي ولاه وأقره على قيادة الجيوش الإسلامية رغم أخطائه في الحرب، واتهام الشيخين الصديق والفاروق -رضي الله عنهما- الذين تهاونوا مع انحرافات خالد -كما يزعمون-، من خلال إدانته بتهمتين كبيرتين من أكبر الكبائر عند الله، وهي القتل والزنا، ثم اتهام الأمة الإسلامية آنذاك بتعطيل أحكام الشرع، ومنع إقامة الحدود الشرعية على القادة، فأنّى يستقيم للأمة الثقة بنبيها وصحابة رسولها -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك؟!

وتعقيبا على خلاصة الحلقة الآثمة يُقال: إن قناة (الحرة) قناة أمريكية، تمثل صوت واشنطن الموجه للعالم العربي، وقد تأسست

عام 2004 بتمويل أمريكي لتواكب حروبها التي شنتها مع مطلع الألفية الثانية على العالم الإسلامي، فهي قناة مؤسسة أصالة لحرب الإسلام ومبادئه، وقد تأسست هذه القناة لتعزيز الحرب الأمريكية على الإسلام، فكل ما ينجم عنها من برامج حوارية فالمقصود به أصالة محاربة الإسلام فكرا، وفهما، ورجالا، وعقيدة، وحركة، ولهذا انتقت من حثالة الإعلاميين وأراذلهم من لديه أحقادٌ مُزَمَّلَة وأضْغَانٌ مُتَدَثِّرَةٌ تجاه الإسلام وذادته، ممن يبحث عن الشهرة عبر بوابة الجدل البيزنطي والسفسطائي، ومن البدهي أن يكونوا لسيدنا خالد بن الوليد من ألد الخصوم، فالرجل المحمدي قد أباد خضراءهم، وصفَّد أجدادهم، وسبى نساءهم، ودمر دولتهم، وأذل قادتهم، وفتك برجالهم، فلا ريب أن يكونوا لخالد خصوما ألداء..

بالطبع؛ إنَّ خالد بن الوليد مختلف عليه بيننا وبينهم، فهو عندهم سفاح مجرم، فلا غرو أن يصفوه بأنه كان سيفا على الكافرين، وسيفا على أعراض المسلمين أيضا، لكنه عندنا رمز عظيم في القوة والفتوة والفتوحات والشجاعة والصلابة، وهو صحابي جليل كريم، سيف الله البتار، ومُصَبِّحُ الكفار، فاتح البلدان، وناشر نور الله والإسلام، فكل مولود مسلم يولد على أرض فتحها الصحابي المبجل خالد بن الوليد؛ فهو في ميزان حسناته إلى يوم التباب، و قد مات نبيّنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو عنه راضٍ تمام الرضا، فلم ينزع عنه قيادة اللواء ولا أوسمة الفخر ولا ألقابه التي لقبه بها، فلقب "سيف الله المسلول" يُعد أعلى وسام عسكري إسلامي في تأريخ المسلمين، ويكفي دفاعه -صلى الله عليه وسلم- عنه حين قال : "إنه الكرار لا الفرار"، وقال أيضًا: "لَا تَسُبُّوا خَالِدًا - وفي رواية-: "لَا تُؤْذُوا خَالِدًا" ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ - أو صَبَّهُ - اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ"، وقد سمعنا بعض علمائنا يقررون في شرح صحيح البخاري الذي ثبت فيه ثبوتا قطعيا تسمية خالد بسيف من سيوف الله، بأن وصف النبي صلى الله عليه وسلم لخالد بذلك؛ فيه الرد على جميع الطعون التي ستثار عليه إلى يوم الدين، فلا يصح بعد هذا الوسام الذي ناله أن تُقبَل فيه طعون الطاعنين.

ولقد كان خالد مع اتصافه بأعلى مقومات القيادة العسكرية متصفا بالتواضع الجم، وإنكار الذات، والانضباط الكامل، فقد حضر غزوني حنين ومؤتة وهو جندي عام مع ما لديه من مؤهلات قيادية عالية، ثم تأمر بلا تأمير في آخر مؤتة فكان على يديه نجاة المسلمين يومئذ، واستحق وسام الفخر حين عودته، وحينما وصله قرار عزله من عمر الفاروق يوم اليرموك، انصاع لقرار السلطة المركزية بطريقة احترافية، ونزل عن منصبه بكل طمأنينة وسلاسة وانقياد، وسلم القيادة لأبي عبيدة الجراح، حتى حينما أمر الفاروق باستجوابه في شأن الأموال وتقسيمها وأمر بنزع عمامته وتقييده بها أمام الناس، استقبل الأمر بطريقة نظامية عالية، وترك بلال بن رباح يستجوبه بعدما قيد يديه ونزع عمامته أمام الناس بالمسجد، وقال: (**نسمع ونطيع لولاتنا، ونفخم ونحترم موالينا**)، وهذا مثال عالٍ من الانضباط والفروسية والانصياع التام، رغم شهرته التي طبقت الأفاق، وعلو منصبه وشأوه في الجيش الإسلامي، وارتعاد الفرس والروم عند سماع اسمه، فقضى سيف الله المسلول بذلك ما ترسخ في جيوش فارس والروم من مفهوم القيادة المطلقة التي لا يحق إلا للتأريخ مساءلتها واستجوابها، وبعد عزله من القيادة استمر خالد في الجهاد والرباط كبقية المجاهدين، وكان اليد اليمنى لأبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه -، يستشيره ويقدم رأيه حتى توفي مرابطا في حمص عام واحد وعشرين من الهجرة.

قال الذهبي في (تاريخ الإسلام) في ترجمته: (**...وكان بطلًا شجاعًا ميمون النقيبة، باشر حروبًا كثيرة، ومات على فراشه وهو ابن ستين سنة، ولم يكن في جسده نحُو شِبْرٍ إلَّا وعليه طابع الشُّهَداء**)، وقد ذكر الذهبي أن خالدا حينما حضرته الوفاة وأدرك ذلك، بكى وقال: (**ما من عمل أرجى عندي بعد لا إله إلا الله، من ليلة شديدة الجليد، في سرية من المهاجرين، بتّها وأنا متترس، والسماء تنهل عليَّ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار، فعليكم بالجهاد، لقد شهدت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم، أو**

طعنة برمح، وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء، لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي).

فاللهم إننا نشهدك أننا نحب خالدًا ونتقرب إليك بحبه والذب عنه..

{**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**}

وإني مقر ومعترف بأن ما ذكرته آنفا في عجالة وإيجاز لا يفي بحق سيف الله البتار، ولا بالذَبِّ عن مُصَبِّحِ الكفار، السيد القائد المعظم خالد بن الوليد -رضي الله عنه-، ولكنها قربة لله عز وجل أرجو أن تفي ببعض حق أبي سليمان عليَّ وعلى أمته، وبهذا يكون القلم قد أخذ بحظه في الصول على لحن القول، وقطع شوطه في حلقة من حلقات إلجام لئام الإعلام، سائلا الله عز وجل أن يوفق إخواني من أهل العلم والدعوة والغيرة على حياض الدين للعناية بالرد على هذه البرامج التي ما صنعت إلا لإشاعة الإلحاد والزندقة والإباحية والرذيلة في العالم بأسره، وإنني أستنفر أقلامهم لجهاد دفع الأفاكين الأثمين على الدين والعرض، فهو جهاد في سبيل الله كبير، وأوصي إخواني المسلمين عامة، وشركائي في ثغور الإسلام ومواطن الجهاد خاصة، أن يولوا قضية الذب عن الإسلام ورموزه العظام أهمية قصوى، فقد تقاعست عن ذلك كبريات المراكز الإسلامية وشيوخها المنشغلين مع المجتمع الدولي في الحرب على الإرهاب، فأين (الأزهر) عن هذا الهجوم السافر على الذات الإلهية والذات المحمدية الذي يُشَنُّ من جواره، وأين (هيئة كبار العلماء) و(مجلس حكماء الأمة) و(رابطة العالم الإسلامي) وسائر المجامع الفقهية في بلاد الإسلام عن حفظ دين الناس وصيانة عقولهم من سيل الشبهات المتدفق وقد علمونا أن حفظهما من الضروريات الخمس، وعليه فقد آن للأقلام الإسلامية أن تتحرف للرد على لئام الإعلام ودعاة الإلحاد عوضاً عن الانشغال بالمناكفات مع إخوانهم بالدين، فلولا نفر من كل ثغر طائفة من الأقلام لتَرُدَّ هذه الاستباحة الجامحة لرموز الإسلام، ولتحفظ دين الناس من ولوج الفتنة في

الدين عليه، لكان بها في هذا المعترك كفاية ومقنع، فإن جبهة حرب الإسلام في ميدان الإعلام أحوج ما تكون اليوم لسِدادِ الثغور المنكشفة، فَلْيُصيبوا سُهْمانُهم وليَنَالوا ما كتبه الله لهم وفضَّلهم به من الذب عن الله وملائكته وكتابه ورسوله ودينه ورجاله، فكل ذلك أضحى غرضًا مستباحًا في مرمى نبل الإعلام المعاصر، وإن من أوجب الواجبات على العلماء العاملين والدعاة المثاغرين في هذه المرحلة الحساسة من تأريخ الإسلام، أن يستوفزوا أقلامهم، ويستنفروا محابرهم، ويبوؤها مقاعد لدفع صيال هذا الإعلام المستشرس على الإسلام، فالله أرجو أن يوفق الجهود، ويسدد الأعمال في نصرة الإسلام، والله الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.



من لي بهذا الخبيـث...!!

مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي